كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في الجلسة الإفتتاحيّة للمؤتمر حول "حريّة التعبير وقضاتها : رهانات جديدة، آفاق جديدة"، يقوم بتنظيمه مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ (CEDROMA) في كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة في جامعة القدّيس يوسف، في ٢ آذار (مارس)، في الساعة العاشرة من قبل الظهر.

ليس من المبالغة أبدًا تكرار عبارات الترحيب لكم ولكنّ جميعًا للمشاركة في هذا المؤتمر الذي ينظّمه مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ CEDROMA في كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة في جامعة القدّيس يوسف؛ في الواقع، الموضوع الذي يتمّ التطرّق إليه في هذه الأيّام، "حريّة التعبير وقضاتها"، ليس أبدًا مشكلة تافهة لأنّ مسألة الحريّة والدفاع عن الحريّات العامّة والفرديّة كانت وستبقى دائمًا في صميم الإهتمامات الأساسيّة بالنسبة إلى جامعتنا، وكذلك تنشئة قضاة جيّدين يتمتّعون بالقدرة على التمييز بين الزؤان والزرع الجيّد. نظرة إلى تاريخنا الأكاديميّ، البعيد والقريب، تبيّن وتوضح أنّ حريّة الرأي إندرجت في مسار أيّام وأعمال الجامعة، منذ النضال من أجل لبنان الكبير، لبنان التعايش والعيش المشترك، حتّى النضال من أجل تحرير البلاد من وطأة الجيوش الأجنبيّة، وصولاً إلى الجهد المتواصل والمستمرّ لكي تستردّ الدولة اللبنانيّة حقوقها الكاملة وواجباتها الحقيقيّة تجاه المواطن اللبنانيّ لكي يتسنّى له ممارسة حريّته بعيدًا عن كلّ إكراه. أوجّه بالتالي شكري إلى فريق مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ وعلى رأسه ماري كلود نجم وكذلك عميدة الكليّة، السيّدة لينا غنّاجه، لجرأتها على اختيار هذا الموضوع المهمّ الذي يدور حوله هذا المؤتمر وكذلك على إعداده بدقّة ومهارة. أوجّه شكري إلى السيّدات والسادة المحاضرين الذين جاؤوا من بعيد، من فرنسا وبلدان أخرى، كي يدعموا هذا المؤتكر بغنى التواصل معنا.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، يُقال إنّ الرغبة القويّة للجامعة كانت أن تصبح مركزًا للتميّز الأكاديميّ والفكريّ، ومختبرًا للثقافة ومساحة من الحريّة. اليوم، أكثر من أيّ وقت مضى، هذه الأهداف الثلاثة، إلى جانب أهداف أخرى لا تقلّ أهميّة عن الأخرى، تبقى من مزايا الإهتمام الفكريّ والعمليّ للعاملين في الجامعة. تبدأ هذه المساحة في حريّة التعبير من خلال تعلّم التفكير وهو فعل حرّ يقوم به الإنسان، وهكذا التفكير وتعلّم التفكير يصبحان من أعداء الشعارات والبيانات الأيديولوجيّة النمطيّة والخطابات التي تستخدم اللّغة الخشبيّة : يتطلّب التفكير جهدًا فكريًّا، والشعار يشهد على الكسل العقليّ ؛ التفكير يصبو إلى الوضوح، والشعار يشوبه التشويش والإضطراب ؛ وعندما يصبح التفكير تعبيرًا ورأيًا، يتطلّب شجاعة ولكنّه يتطلّب أيضًا التمييز بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين الرسوم الكاريكاتوريّة والصورة الحقيقيّة. على سبيل المثال، هناك موضوع

يشغل حاليًّا لبنان ويثير اهتمام الصحف والمحطّات الإذاعيّة والتلفزيونيّة : هناك أزمة إقتصاديّة تضرب هذه الوسائل الإعلاميّة ولا ترحمها حيث أنّ بعض الصحف اليوميّة توقفت عن الإصدار، والكثير من بين الصحفيين والتقنيين، وهم بالمئات، أصبحوا عاطلين عن العمل. الشعار الوحيد الذي نسمعه هو أنّ الأزمة الماليّة، ونضوب الإعلان وانتشار مواقع الإنترنت هي السبب في تراجع وسائل الاعلام التقليديّة. إلا أنّ أحدًا لا يجرؤ على القول بأنّ وسائل الإعلام عندنا كان تمويلها يتمّ من الخارج، وأنّ هذه المصادر نضبت وأنّ مدراء الصحافة لم يفعلوا شيئًا من أجل تحويل هذه الوسائل الإعلاميّة إلى مؤسّسات حقيقيّة تنطلق نحو المستقبل في استقلاليّة ذاتيّة مؤكّدة. لكن بعض محطّات التلفزيون لا تتردّد في دعم برامج يفترض أنّها تتمتّع بالحريّة وتحرّر، إلا أنّها في الواقع، لا تتوجّه إلا لغرائز الناس وفضولهم.

في النهج الأكاديميّ الذي نتّبعه وهو أوضح من أيّ مساحة جامعيّة أخرى، نؤكّد اليوم على البعد النقديّ في عملنا التعليميّ وخصوصًا في عملنا بغية تنشئة شخصيّة المواطن عند الطالب. ويتوجّب على هذا الطالب أن يعيد النظر في الأفكار التي تلقّاها والصور التي يشجذبها الواقع بحجّة أنّها تقوّض الروح الأكاديميّة والنظام الإجتماعيّ أو أمن الدولة، فيلجأ حتمًا إلى مقاومتها.

قال أحدهم، وهو رئيس حكومة لبناني أسبق : "في لبنان، هناك الكثير من الحريّات والقليل من الديمقراطيّة". فمن الواضح أنّ الديمقراطيّة تعاني بالفعل من المحسوبيّة وتعاني أكثر اليوم من عدم القدرة على التوصّل إلى صيغة حديثة لقانون الإنتخابات وإذا بالجليد هو الذي يلوح في الأفق ". هذا لنقول إنّ الحريّة الحقيقيّة للرأي والتعبير يجب أن تمرّ بالتغيير الديمقراطيّ، وبحريّة اختيار المواطن لنائبه، وبالاقتراع العامّ، والممارسة الديمقراطيّة للسلطة، والإدارة العامّة المحاربة للفساد والعدالة التي تتمحور حول حقوق المواطن. بالتالي، يتّخذ موضوع اليوم ملامح قانونيّة جدًّا سيسعى هذا المؤتمر إلى تحديدها، فحرية التعبير لا تزال للجامعة مادّة حقيقيّة للتعليم والممارسة المحبّبة الذين يساعدان على التحرّر لأنّ الحريّة هي أيضًا تحرير، أي القيام بأعمال حرّة من خلال التعبير الحرّ ضمن عمل يُنجَز بتمييز من أجل الإختيار الأفضل والكلمة الأفضل. هذا المؤتمر الذي يقوم به مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ ، والذي يحمل في عنوانه كلمة "العربيّ"، يصبح بالتالي مؤتمرًا يحمل رسالة لعالمنا اللبنانيّ وخصوصًا لعالمنا العربيّ حيث ربيع الحريّة ما زال ينتظر تفتّح أولى براعمه. ولكن من قال إنّنا لا نعيش روح النضال والأمل !